301.15
D12dA

AG 19'58

JUN 7 '60

JAFET LIB.
1 FEB 1990

30.115
D12dA
C.1

الى مكتبة جامعة اكسفورد
مع طيب التحيات
بيروت في ١٩٤٧/١١/٢٨

يوسف اسعد داغر
امين دار الكتب اللبنانية

الدعاوة والنشر

او

البروبغندا

نشرت تباعاً في مجلة المسرة سنة ١٩٤٧

67574

مطبعة القديس بولس

حريصا ١٩٤٧

Cat. Jan. 1948

الدعاوة والنشر او البروبغندا

نظرة عامة

الدعاوة على ضوء علم النفس وعلم الاجتماع الحديث

ينظر بعض الاقوام الى هذه الالفاظ، كما ينظر اليها بعض الافراد، نظرة ريبة وتحفظ، اذ يرون فيها محاولة قسرية للضغط والتحكم بالرأي الشخصي والنظر الى الامور . ومع ذلك فقد رأى قادة الشعوب الحديثة في الدعاوة وسيلة هامة من وسائل التأثير والاقناع، حتى ان بعض الحكومات اقدمت على انشاء وزارة خاصة في عداد الوزارات التي تتألف منها الحكومة، فقام غوبلز في المانيا مثلاً يحمل لقب « وزير الدعاوة »

ففي هذا الدور الذي بلغه التطور الاجتماعي والنظر الى الكائنات على ضوء علمَي النفس والاجتماع الحديثين، نرى عدداً كبيراً من المفكرين والنقاد يقدّرون اكثر فاكثر العوامل والمؤثرات التي تطبع الذهن وتؤثر على العقل والفكر وبالتالي على التصرف والسلوك

فالدعاوة، في جوهرها، محاولة يقوم بها شخص ما للتأثير على شخص آخر، وبعبارة اخرى صراع بين مُثُل مختلفة في عالم تتقاذفه الاطماع، او نزاع بين فلسفتين او اكثر متباينتين في العقلية والذهنية والنظر الى القيم البشرية . فكل بلد او شعب لا تضبط مصالحها خطة موضوعة بمنتهى الدقة والتنظيم يتفرّق اهلها ايدي سبا، ويتوزعون مللاً ومذاهب تناهض بعضها بعضاً ليس فقط في الامور العرضية او الطارئة بل ايضاً في الامور الجوهرية او الاساسية

كل الشعوب التي تطمح الى الحياة الحرة يجب ان تناهض اي عدوّ حقيقي

او وهمي من شأنه ان يهدد سلامتها . ولما كان اكثر الناس تفاؤلاً في هذا العصر يعتقدون انه لا بدّ من قيام الخصومات والمنافسات في العالم فهم ينظرون الى الدعاوة ووسائلها كامر لا مفر منه بل يجب الاخذ به والنهوض باساليبه

يجب ان يسبق كلّ مجهود مشترك تحديدُ الاهداف والغايات العليا التي يترسمها ، كما يجب تعيين الوسائل الموصلة الى هذه الاهداف . فالدعاوة اذن امر محتوم لانها احدى هذه الوسائل المشروعة في نظامنا الاجتماعي الحالي ولا يمكن صرف النظر عنها لانها تقوم اساساً على التنبيه والتحذير والايقاظ . فهي قبل كل شيء تتجه الى العقل عن طريق الاقناع ، والى الارادة عن طريق القلب والعاطفة . فالدعاوة اذن عمل اجتماعي قبل كل شيء .

ومن الاسس التي تقوم عليها الدعاوة اليوم علم النفس الحديث . فالدعاوة هي ايضاً عمل نفساني . فهي تقوم ، في جوهرها ، على محاولة التأثير من شخص معين على شخص او اشخاص معينين . وهذا الانفعال المطلوب لا يتم الا بعد انطباعات نفسانية في الشخص المطبوع سلبياً

ولما كانت الدعاوة ظاهرة اجتماعية ترتكز اساساً على علم النفس الحديث ، كان لا بدّ من اللجوء الى علم الاجتماع وعلم النفس كليهما لتحليل مضامينها وتفرعاتها ، والا عجز كل من هذين العلمين على حدة عن تفهم حقيقة هذه الظاهرة . وقد شبه واغنر علم الاجتماع ، في جوهر الدعاوة ، بالبندقية او المدفع ، كما شبه علم النفس بالطلق او بالعيار . فاستجماع البندقية والرصاصة ووجودهما معاً في حالة التهيؤ امر لا بد منه للعيار الناري . ولذا وجب ان يكون تكافؤ بين البندقية وذخيرتها او بين المدفع والقنبلة . وهكذا نرى ان حقيقة الدعاوة ومدلولها يحتمان وجود امور مشتركة ترتكز على الاتساق والتوافق بعضها مع بعض . وكل الوسائل التي تتذرع بها الدعاوة يجب ان تكون حقيقة مدلولها مطابقة لمبادئ علم الاجتماع الاساسية ، كما يجب ان تخضع فعاليتها لنواميس علم النفس . ولهذا نرى ان علم النفس الاجتماعي ، في مادة الدعاوة يتجه ، في آنٍ واحد ، شطرين مختلفين : احدهما لاعضوي او اجتماعي ، والآخر عضوي او

نفساني . فني الاول تعتمد الدعاوة على مراعاة اخلاق وعادات وعرف شعب ما مراعية حالته الاجتماعية . اما في الثاني فالدعاوة ترتكز على تهيؤ الشعب النفساني باعتبار ذهنيته وعقليته . والواقع الذي لا يدحض ان كلا العنصرين متلازمان لا يفترقان . فالافراد ، من حيث تركيبهم النفساني ، هم نتيجة محتومة لامتزاج العنصر اللاعضوي بالعنصر العضوي على نسبة من الاتساق والتوافق . فهم مجموعة محتومة من العادات والاخلاق تتفق وحالات اجتماعية ، هي دوماً آخذة في التكيُّف والتطور . فعلم النفس الاجتماعي هو اذاً « ألفةٌ » من علم الاجتماع وعلم النفس ، لان الظواهر الاجتماعية هي مركب من القوى الاجتماعية ومن التفاعلات النفسانية

وعلى هذه القاعدة ، اعلم ان علم النفس الاجتماعي يتطلب بداهة هذه الحقيقة الاولية وهو انه لا علاقة له باية « حقيقة مطلقة » بل انه يقوم على درس وتمحيص حوادث خاصة ووقائع خاصة ، لها « حقيقة نسبية » محيزة في اناس تلابسهم وضعية خاصة

مادة الدعاوة

هنالك دلائل عدة مستمدة من ماجريات الحرب العالمية الاولى والثانية ، تشير بوضوح الى ما للدعاوة من الشأن والاثر ، على الشعوب والامم . واكبر شاهد على عناية الدول بهذا السلاح القوي ، ذلك الفيض الغزير من الكتب والمؤلفات والرسائل والمقالات في الغرب ، التي تعالج هذا الموضوع وتبحث في اصوله وفعاليته . فالدعاوة سلاح قوي ، شديد الاثر على الشعوب في تعديل افكارها وعقليتها وآرائها ونظرها الى الامور ، كما لها الاثر البين في تنويع الصور والمرئيات المرتسمة على لوحات الذهن او الانطباعات المستقرة في اعماق النفس . فالحياة القريرة ، في الامم ، لا تقوم على عاصفة هوجاء ، لا تبقي ولا تذر . فهي ليست في اندفاع الجماهير وتطوحها ، بل في حكمة واتزان اقلية عاقلة

ان ما للرأي العام من شأن خطير في الامور السياسية الدولية واتجاهها خليق بالدرس والفحص والتحري القصي ، وهو دور آخذ بالازدياد والنمو . يشهد العالم

اليوم نشوء قوة جديدة، هي قوة الرأي العام . وقد نشأت هذه القوة بفضل علم جديد وسلاح جديد هو سلاح الدعاوة . فالمصالح تعدّت تخوم الدول وحدودها، فصار من الغرور والادعاء الفارغ ان تحاول الحدّ من رغبة المواطنين والحكومات في وقوفهم على ما يجري عند الجيران من الاحداث، مما يهتزون له لعلاقته القريبة او البعيدة بهم

اما اساليب الدعاوة هذه فقد تعددت وتنوعت الى حدّ كبير، واتجه كل واحد منها الى ناحية خاصة يتعهدها بالعناية والاهتمام . فمنها ما هو موجّه نحو الاغراض القومية او الدينية، ومنها ما يتجه الى العنصرية او القضايا المالية او الاقتصادية الخ . ولهذا كانت الدعاوة والرأي العام، من الامور التي تشتد اليها الحاجة في زمن الحرب . ان امة تحافظ على مستوى عالٍ من متانة الخلق والمعنويات تستطيع الصمود والاتيان بالمعجزات والخوارق والاضطلاع بالاعباء والتبعات العظام

وهذا المستوى العالي من متانة المعنويات يتميز بخصائص فارقة متفق عليها لدى الجميع : كالحماسة والعزم والثقة بالنفس والشعور بالقومية وامجادها وحب النقد الصريح وعدم التذمر والمرح في الشدة

تحديد وتعريف : فالدعاوة هي احدى الوسائل الهامة لحفظ معنويات الامة واليها تتجه رغائب الامة يوم تتأزم الامور . فالغاية منها محدودة إلا انها مهمة للغاية . فلا يقصد منها مراقبة الحالات النفسية بتغيير ظروف بعض هذه الحالات . فهي ترغب فقط بمراقبة الرأي العام في الامة او في العالم والتحكم به بوسائل لها شأنها، معتمدة على سرد القصص والاخبار والتقارير والصور الوصفية وغير ذلك من الذرائع المختلفة . فهي تعنى باعداد الرأي وبتطوره اعتماداً منها على الايحاء الاجتماعي، اكثر مما تعتمد على قلب هذه الحالات والظروف التي ترسمها او تبعثها

فالدعاوة هي احدى الوسائل الثلاث الرئيسية للتأثير على العدو والنيل من معنوياته :

١ً الضغط العسكري او الحربي باستعمال قوى البر والبحر والجو مجتمعة

٢ً الضغط الاقتصادي : بمنع وصول الامدادات والمواد الاولية والاتصال بالاسواق ورؤوس الاموال

٣ً الدعاوة : وقوتها تقوم في الايحاء النفساني

في السلم تعتمد الدول المفاوضات والمداولات والمشاورات فتتصل بعضها ببعض بالمؤتمرات حيث تتبادل وجهات النظر . وتؤثر الحكومات على شعوبها بالتشريع وسن القوانين وتنظيم الشرطة والاعتماد على وسائل الرغبة او الرهبة المختلفة

اما في زمن الحرب فالحكومات والامم تعتمد الدعاوة وترتكز على وسائلها، فتثير كوامن الحقد والبغضاء والموجدة الكامنة في قلب الامة ضد العدو المشترك، ثم تنصرف من جهة ثانية الى تنمية علاقاتها الطيبة بالدول المحايدة او الحليفة . وقد بلغت الدعاوة، في الحربين العالميتين الاخيرتين، درجة عالية من الشدة والتوتر، كيف لا والامل في كسب الحرب معقود كله على وحدة الصفوف ومتانة المعنويات في الجبهة الداخلية، والمحافظة على وحدة الامة . وليس من امل بالمحافظة على وحدة الامة ان لم تراقب الحكومة ضمير الامة كما تراقب روحها ووعيها الدفين . فالمدنيون عليهم ان يلتفوا كالبناء المرصوص، تغذية لحاجة الحرب وتأميناً للصناعات الحربية

ومن مميزات وحدة الامة في الحرب جمع الجنود عصبة واحدة تخضع لنظام واحد موحد . اما المدنيون فلا يجمع بينهم نظام عسكري او نظام حشد العضلات، بل ان ما يجمع بينهم هو جامعة الفكر ووحدة الروح والتفكير اكثر مما تجمع وحدة الحركة . فعقل المدنيين ينتظم بما يوحى به اليهم من الاخبار ليس بما يوحى به اليهم من التمارين والحركات، وهذا كل ما ترمي اليه الدعاوة وكل ما تستهدفه وتحب ان تواجهه . فحشو الدماغ بقوالب معينة محيزة من الافكار والصور، يقصد منه، في الغالب، القضاء على كل منزع يحول دون الاشتراك في الحرب الاجماعية، كيف لا وقد اعتاد الانسان النظر الى السلم — وليس الى الحرب — كحالة المجتمع الطبيعية، ولاسيما وهنالك افراد كثيرون، في جسم الامة الواحدة، ينددون بالحرب ويويلاتها، ليس لكونها شراً فحسب،

بل لكونها مؤامرة يدبرها بعض اعداء المجتمع . فالدعاوة اذاً هي حرب الافكار مشهورة على بعض الافكار الرجعية وعلى بعض حالات الذهن

ان هذه النظرة الخاطفة هي تحليل اولي لقضايا الدعاوة ومشاكلها في علاقاتها بعوامل الدفع والجذب، بين الامم، في اثناء الحرب . وكلها يهدف الى اثارة الحقد على العدو وتثبيط همته

سلوك الانسان الاجتماعي اساس الدعاوة

ان الناس — موضوع عناية الداعية وغايته القصوى — هم اولئك الذين بلغوا سن الرشد، فيخضعون في تصرفاتهم لعدد من المؤثرات المختلفة . وهؤلاء الاشخاص ينظر اليهم الداعية بوصفهم متمتعين بالنشاط والحركة والعاطفة، من حب وبغض وطمع ووطنية . فعلم النفس، في محاولته تفهم هؤلاء الاشخاص، لا يمكن ان يتجاهل ما لهم من خصائص محركة وقوى دافعة . فهو ينظر اليهم نظرة وحدات مركبة قابلة للتأثر والانفعال، متشابهة في كثير من وجوهها . فعلم النفس يجب ان يكون عملياً بعيداً عن النظريات

كذلك ان علم النفس الذي يعنى بدرس الكائنات البشرية لا يمكن ان يتجاهل ما للانسان من مقام في المملكة الحيوانية، فهو اكثر قابلية من سواه من ابناء هذه المملكة لتكييف نفسه حسب مقتضيات بيئته . وهذه الخاصة تقوم اساساً في كونه قابلاً للاقتباس والتعلم من اشباهه الى درجة لا يجاريه فيها احد . وهذه الخاصة الكامنة في الانسان والتي تمكنه من الاقتباس والتعلم هي نفسها تمكنه من ايصال اختباراته وتراثه الكسبي من جيل الى جيل . وبالايجاز ان الناس ليسوا فقط الخلف الطبيعي بل ايضاً الخلف الاجتماعي لسلف طبيعي واجتماعي معاً . وهذا التراث يقوم، قبل كل شيء، في قوة النطق والافصاح بالكلام او بالخط عن الافكار وما ذلك كله الا نتيجة محتومة للتطور الدماغي وتطور القوى العاقلة

ان نشاط الانسان يرتكز، في جوهره، على رغائبه المكنونة في قرارة نفسه،

وهذه الرغائب، هي التي تدعوه الى التصرف والسلوك . وبعبارة اخرى، يمكننا ان نتساءل لماذا يعمل الناس ما هم آخذون به من عمل ؟

ان رغبة الانسان في الحياة امر لا يمكن نكرانه، الا في بعض حالات شاذة، لا قياس عليها . الا ان الوسائل التي يركن اليها او يعتمد عليها للوصول الى هذه الغاية، تختلف وتتنوع الى درجة انها تحتاج الى دراسة خاصة . وقد يسهو الانسان، محمولاً بتيار الاعمال، عن الهدف الاخير الذي ينشده فيفقد الشعور بالعلاقة القائمة بين ما يعمله وبين رغبته في الحياة . وبعبارة اخرى تكون تصرفاته مسيّرة، وهذا امر يجب الا يغرب عن البال قط

وضع علماء النفس والاجتماع بعد دراسة عميقة كشفاً دقيقاً بمطالب الانسان الغريزية او بحاجاته الدفينة التي تكون الدافع الاساسي الدائم للنشاط الانساني . وهذه الغرائز والحاجات الاساسية لا تتحرك او تأخذ بالتأثر وهي في محيط اجوف فارغ، فيما انها تثور وتتأثر بصورة مستمرة بحسب الظروف الفردية الملابسة او المجاورة . فالظروف الاجتماعية المحدقة بجماعة ما من الافراد او الملابسة لهم هي الحافز الاول لتوجيه مطالب هذه الغرائز وتحقيق هذه الحاجات الدفينة

الشخصية والهيئة الاجتماعية : نظرنا الى الافراد يتحركون مدفوعين الى حركتهم بما هم عليه من حالات نفسية، هذه الحالات التي تتشابك وتتداخل بكيفية يصعب معها استبانة الحدود والاطراف المتصلة . وهذه الحالات هي موضوع عناية الداعية وهدفه من وسائل الاغراء والتأثير التي يعتمدها . وعلى قيام هذه الحالات النفسية ونظامها ودرجة قابليتها للتأثر تقوم، قبل كل شيء، الشخصية وما اليها من قضايا معقدة . وهذه المواقف السيكولوجية تختلف اهمية بعضها عن بعض في شخص واحد، كما تختلف درجتها معدلاً، بين جماعة واخرى، فالبارز منها يدعى الموقف الدائري او المركزي . وهذا الموقف المركزي هو نقطة الدائرة او المحرك الاكبر او الموجه الرئيسي لتصرفات الانسان، كما انه القطب المسيّر للحالات السيكولوجية الاخرى . وقد يكون منها في الانسان الواحد عدة حالات مركزية تختلف بعضها عن البعض الآخر باختلاف اتجاهها

النوعي، اذ منها ما يتجه شطر الدين وغيرها نحو الاجتماع، واخرى صوب الاقتصاد او المال او الملاهي والملذات، فتتشابك بعضها مع بعض وتتداخل بصورة غريبة غامضة . وقد يتفرع عن هذه الحالات المركزية او الدائرية حالات فرعية او جزئية ينم كل منها عن اتجاه خاص في الانسان . وهذه الحالات سواء اكانت مركزية رئيسية ام فرعية جزئية تؤلف ما يصح تسميته بـ « المدى العقلي او المدى الحيوي »، الذي يرمز بصورة واضحة دقيقة الى الحقيقة السيكولوجية للوعي الانساني المعروف بالسلوك او التصرف . وهذا المدى يشتمل على العقل الواعي وعلى العقل اللاواعي، ولكل منهما اثره الظاهر في الانسان، في حمله على الخروج من سلبيته او من جموده البداني، تبعاً للمرئيات التي تجتذبه او تؤثر فيه

وهكذا تبدو لنا الشخصية الانسانية في حالاتها المختلفة الموصوفة كما يلي :

اولا : بالنظر الى طور من اطوار الحياة : تكون الشخصية البشرية اذ ذاك خاضعة للعوامل التالية :

١ً اما الى حالات سيكولوجية عامة General attitudes : وهي التي تتحكم بسلوك الانسان والتصرف الانساني وتسيّره في كثير من ظروفه الخاصة

٢ً واما الى حالات نوعية خاصة Specific attitudes : وهي التي تسير السلوك الانساني في حالة نوعية خاصة

٣ً واما الى حالات مركزية او دائرية Central attitudes : وهي التي توجه الانسان في معظم حالات سلوكه الفردي

٤ً واما الى حالات جزئية او فرعية Segment attitudes : وهي التي توجه فقط جزءاً من السلوك الشخصي في الانسان الفرد

ثانياً : بالنظر الى ظرف خاص من ظروف حياة الفرد : تكون شخصية الفرد اذ ذاك خاضعة للعوامل التالية :

١ً حالة دافعة Dominant attitudes : وهي التي تضغط بشدة على المدى العقلي

٢ً حالة كامنة Latent attitudes : وهي التي تكمن في الضمير دون ان تضغط على المدى العقلي

٣ً حالة عارضة Related attitudes : وهي حالة ناشئة عن تشابك مواقف مختلفة ضمن المدى العقلي

٤ً حالة مساعدة Auxiliary attitudes : تؤثر بالواسطة على المدى العقلي

القيم الاجتماعية : عني علماء النفس كثيراً كما عني علماء الاجتماع ايضاً بدرس هذه الناحية السيكولوجية من الانسان واهتموا بقياس قوتها وحيويتها وفائدتها في الافراد. وقد دل الاختبار ان هذه الحالات النفسانية تتأثر وتتكيف تحت تأثير بعض الخطط القوية التنظيم، وهي، وان كانت تختلف قوة ودرجة ونوعاً وخصائص بين اميركي وآخر، مثلاً، تختلف كذلك قوة ودرجة ونوعاً وخصائص بين شعب وآخر. وهكذا نرى قيام حالات سيكولوجية عامة متشابهة عند بعض الجماعات او لدى بعض الشعوب. وهذه المشابهات المشتركة هي نتيجة مباشرة محتومة للمؤثرات الاجتماعية والعوامل المختلفة التي تعمل على صوغ الانسان وصياغته وسكبه في قوالب خاصة مميزة له عن غيره من الاقوام بين الافراد، او تطبع الجماعات بطابع فارق يمتاز عن غيره من طابع الجماعات الاخرى. ولذا كانت الدعاوة التي توجهها مراكز خاصة مختلفة في جماعة خاصة، هي العامل الاكبر لايجاد حالات فكرية متماثلة في مجموع من الافراد

وهذه القوى المؤثرة او المحركة التي نراها في الاشياء او في الاشخاص هي ما يدعوه العلماء الاجتماعيون بـ «القيمة» او قوة الجذب. ومفعول هذه القوة او درجة فعاليتها كمؤثر، هي على نسبة تهيؤ المرء النفساني او السيكولوجي وعلى درجة قابليته للانطباع بهذا المؤثر

فالقيم الاجتماعية هي اذن تلك المؤثرات او العوامل المختلفة وقابليتها الفعالية للتأثير على اي عضو من اعضاء مجتمع ما. اما الحالة السيكولوجية فانها تدل على وعي فردي قمين بان يثير في الفرد نشاطاً حقيقياً او ممكناً وايصال هذا النشاط الى المحيط الاجتماعي. فالحالة النفسانية او السيكولوجية، من جهة، والقيم الاجتماعية من جهة ثانية، هما شيئان متعاقدان متماسكان يدعو احدهما الاخر. فهما قطبا جذب سلبي وايجابي، والرابط بينهما النشاط الحركي

فالاشياء والاشخاص المثيرة لحالات نفسانية متجانسة في بعض الجماعات او الجماهير تكوّن القيم الاجتماعية لهذه الشعوب . فكل شيء او شخص يسبب او يثير حالة نفسانية يكوّن، في ذاته، قيمة اجتماعية، وذلك فقط في الحين او في الوقت الذي يثير فيه هذه الحالة الخاصة

وهذه القيم الاجتماعية تقسم الى قسمين وذلك بنسبة الحالة التي تثيرها في مكمن النفس . فبعض هذه القيم والحالات التي تثيرها تسبب، في الافراد مجذباً نحو الاشياء والاشخاص فيما ان غيرها من هذه القيم والحالات التي تثيرها تولّد فيهم حركة دفع . فهذه القيم هي اذن ايجابية وسلبية، وهذه الصفة المكتسبة، ايجابية كانت ام سلبية، قد تنعكس في بعض الحالات وترتدي مظهر الضد، فتصبح سلبية بعد ان كانت ايجابية، والعكس بالعكس

الايحاء والدعاوة : رأينا على ضوء مبادئ علم النفس الاجتماعي ماهية تركيب السلوك البشري وتنظيمه ومسبباته وبواعثه وعلاقاته الوثيقة بالبيئة الاجتماعية . كذلك لاحظنا كيف ان الشخصية قوامها الحالات السيكولوجية النفسانية، وهذه الحالات ترتكز في اثارتها، على القيم الاجتماعية الكامنة في البيئة او المجتمع . وهكذا بدت لنا الدعاوة قوة لها خصائص وقابليات للتأثير على الجامعات البشرية . ولهذا كان لا بد لنا من ان نستعرض، بايجاز، على ضوء علم النفس الحديث، طريقة التحكم بالافراد وتغيير شخصيتهم، وبالتالي، التحكم بالجماعة والجماهير في آنٍ واحد، اذ المجموع هو افراد مجتمعون . وهذه الطريقة هي ما ندعوه بـ « الايحاء »

الايحاء : فالايحاء، شأنه شأن كل الحالات السيكولوجية والقيم الاجتماعية التي اتينا على وصفها، هو احد اركان السلوك البشري . فكل نظرة تحليلية للايحاء وتأثيره السيكولوجي، تقوم على هذا المبدإ البديهي، وهو ان كل فرد ينفعل بالايحاء، يشعر، في حال انفعاله، بمؤثر واحد او بعدة مؤثرات . فهذا المؤثر او المؤثرات يكون الطرف الثاني او المادة التي تسبب الايحاء . ففي الدعاوة او في ما لديها من الظواهر الاجتماعية الاخرى المماثلة، ان العوامل التي تؤثر في

الجماعات والشعوب، هي على الاجمال، من الكثرة العددية، بحيث يكون من العدل تسميتها بالظرف الفاعل او الظرف المحرك Situation Stimilus

فالاشخاص والاشياء تلبث كما هي، اشياء واشخاصاً مجردة، حيادية، بالنسبة اليك، الى ان تؤثر عليك بصورة ما . واذ ذاك تصبح هذه الموضوعات، بالنسبة اليك، « ظرفاً فاعلاً » او « ظرفاً محركاً »؛ وفي لغة علم النفس ان هذا التعبير يعني ان الظرف المحرك يولد فيك هزة او انعكاساً، لسبب ما، قد يكمن في طبيعة هذا المحرك او في حالة تهيؤك النفساني

وهذه الحالات قد تتغير دون ان يسبب تغيرها اي تعديل مباشر في سلوك المرء نفسه . كذلك، ليس من الحكمة في شيء، عند الكلام عن الايحاء، القول بان الحالات النفسية تخضع مباشرة للمراقبة والتحكم . قد تتغير هذه الحالات السيكولوجية فيك عندما يتقدم احد الاشخاص منك بنصيحة . ولكن رد الفعل هذا قد يأتي مخالفاً او مغايراً لما كان من المتوقع حدوثه . وهذا النوع من المتصرفين على هذا النمط، يدعى بلغة علم النفس « السلبيين »

ويزعم بعض الكتاب ان الايحاء يدعو الحالات النفسانية مباشرة الى العمل، كما يزعم غيرهم ان هذه الحالات تنشأ من تأثير الايحاء مباشرة . وهكذا نرى ان طريقة نشوء هذه الحالات وتكونها عن طريق الايحاء، يستدعي، الى حد وقدر ما، تكييفات نفسانية في المدى العقلي

وعلى ضوء هذا التحليل، نرى بوضوح وجلاء ان الايحاء ينتج حتماً من تفاعل المؤثر الخارجي وانطباعه، على شكل تتنبه معه الحالة النفسانية القائمة اساساً على المدى العقلي، فتحمل المرء على الحركة او النشاط وعلى الخروج به من حالة الجمود او التردد، الى حيّز العمل، وهي حالة لم تكن المؤثرات الخارجية الاخرى لتثيرها . وهذه النظرية التي يقول بها العلم الحديث تفرض حتماً قيام تهيؤ سابق في قرارة النفس يقع ضمن المدى العقلي وضمن استعداد المرء للتأثر، كما انها تلمح الى تأثير الفاعل بالمفعول وتشير الى الانعكاسات الظاهرة في وضعية المدى العقلي، عندما يستعمل الواحي المؤثر الخارجي

والقول بفعالية الايحاء على هـذا النمط نظرية علمية يقول بها معظم علماء النفس الحديث . فانعكاس المؤثر الخارجي على الفرد او الجماعة ينتج فيهم حالات نفسية جديدة، فالايحاءات تستدعي حتماً الاشارة الى الدور الهـام الذي تمثله الحالات السيكولوجية المفروض وجودها، قبل الانفعال، بالمؤثر الخارجي، وهي التي تسبب التحول من السلبية الى الايجابية . وهـذا المؤثر الذي ينعكس عمله فيك، قد يبقى بدون اي تأثير على غيرك، لعدم قابلية هذا الغير وتهيؤه لاقتبال الانعكاس . وهذا الايحاء يتبلور او يتجسم في نظر الموحى اليه صوراً او اعمالاً صورية، طرفها الاول المؤثر الخارجي وطرفها الاخير الحالة النفسية المفروض قيامها

الايحاء وانواعه المختلفة : يدعونا تحليل الدعاوة والنظر اليها من خلال علم النفس، الى تمييز الاختلاف القائم بين الايحاء المباشر والايحاء غير المباشر من جهة اولى، وبين الايحاء السلبي والايحاء الايجابي، من جهة ثانية

ففي الايحاء المباشر يرى المرء الهدف المباشر الذي يهدف اليه الموحي، جزءاً من المؤثر الخارجي، فتنشأ فيه حالات نفسية عارضة . ويكون الايحـاء عملية ناجحة اذا اثار، في المدى العقلي الخاص بالموحى اليه، شعوراً بهذا الهدف وعلاقته بالحالات النفسية العارضة، قد ينتج عن ذلك، ولا ينتج، اي عمل يستهدف الحصول على الغرض الذي يرغب فيه الموحي

اما في الايحاء غير المباشر فالمرء عاجز عن رؤية الغرض المباشر الذي يهدف اليه الموحي، كجزء من المؤثر الخارجي . ومن هـذه الحالة ينشأ، في المدى العقلي، حالات نفسية مساعدة او عارضة، هي كل ما يطمع فيه الموحي . وقد ميّز العالم بورس سيدي المشهور بابحاثه في علم النفس، بينهما بقوله : ان الايحاء المباشر هو نتيجة مؤثر سمعي فيما ان الايحاء غير المباشر هو نتيجة مؤثر مرئي

اما الايحاء الايجابي والسلبي فيدعو احدهما الآخر ويفرض الواحد منهما وجود الثاني . وما هما، في الحقيقة، سوى وسائل توصف بها طبيعة العلاقة، او النسبة القائمة بين الايحاء وبين البيئة التي يجب ان يتم فيها العمل المقصود من الايحاء . فاذا كان المقصود من التوجيه، المؤثر الخارجي كان الايحاء ايجابياً . اما اذا

قصد به غير المؤثر الخارجي كان الايحاء سلبياً . فكل ايحاء سلبي يفرض حتماً وجود ايحاء ايجابي

الايحاء باللغة : اما الايحاء كما وصفناه وبيّنّا اشكاله وانواعه، فاداته الاولى وقناته الاصلح اللغة او التخاطب، سواء بالخط كان ام باللسان. فالكلام هو المؤثر الخارجي الذي يعتمد عليه الموحي او الداعية، قبل كل شيء . وهذه المقاطع والرموز السمعية او المرئية، التي لها مدلول وضعي مقرر، من شأنها ان تكون اداة للايحاء، وبالتالي صالحة لتثير فينا حالات نفسية : عرضية او مساعدة

ان قوة الكلام الايحائية تقوم بدأ في مدلولها الاولي او في معناها المجازي وفي قابليتها على اثارة الحالات السيكولوجية في الانسان . وهذه القوة تتغير بين منطقة واخرى كما تتغير بنسبة ثقافة المرء

الايحاء بالنفوذ : كل حالة اجتماعية من شأنها الايحاء الى الفرد تحتوي حتماً القوة الايحائية بالنفوذ. فمن يا ترى يتمتع بهذا النفوذ الايحابي المحرك ؟ والجواب على ذلك سهل اذ ان كل ذي قيمة اجتماعية ايجابية سواء اكان صاحبها امراً ام مادة، صالح للتأثير بنفوذه . وبالاختصار فكل ذي قيمة اجتماعية ايجابية، له القدرة او الامكانية السيكولوجية على اثارة الحالات النفسية الشديدة التوتر في اي شعب ما، عن طريق التصرف او المسلك الانساني . فهذه المواد او الافراد تتمتع بوصفها قيماً اجتماعية ايجابية، بقوة التأثير من الوجهة الوضعية

ومجمل الكلام حق لنا القول ان كل مادة او شخص له قيمة اجتماعية ايجابية يملك النفوذ اللازم ليصبح مؤثراً خارجياً . وهم يؤثرون في الغير باثارة حالة نفسية خاصة استيعابية ، وذلك بالنسبة الى ظرف ما . وهكذا يبدو ان القيم الاجتماعية السلبية لا تحدث في الموحى اليه حالة خاصة لاقتبال التأثير

الايحاء بالتحول الاجتماعي : يأخذ الناس، عن طريق الايحاء، بالتبدل والتغير والتحول من حالة الى حالة . وعندما يتبدل مجموع ما من الناس او يتغير فكرياً او عقلياً، فالهيئة الاجتماعية التي تتألف من هذا المجموع، تتغير هي ايضاً باكتسابها صوراً جديدة ولبسها قوالب جديدة . وهذا التغيير قد يتم بعضه بصورة غير واعية

فالتحولات الاجتماعية العميقة لا تتم مع ذلك الا بصعوبة شديدة، لان كثيراً من الحالات النفسية والمواقف التي يقفها الناس تقوم، في جوهرها، على تلك القيم الاجتماعية الخاضعة لها الهيئة البشرية التي يعيشون ضمنها . وبالوقت نفسه، فوجود هذه القيم الاجتماعية تجعل الذين خبروها اكثر قابلية للايحاء من سواهم . ولهذا بدت كل جماعة او اية جماعة قادرة على الاحتفاظ بدرجة ما من الاستمرار والاستقرار . فالقيم الاجتماعية هي في آن واحد عناصر تؤدي الى المحافظة والى الابقاء على الصور الاساسية الكامنة في الهيئة، كما انها تساعد على استبدال هذه القوالب وتغيير هذه الحالات بقوالب وحالات جديدة

كه الدعاوة: ماهيتها وجوهرها

اولا: الدعاوة المقصودة: ان تحديد مدلول الاوضاع وتعريف الالفاظ تحديداً فلسفياً عملية بسيطة وصعبة في آن واحد . فهي بسيطة لان الذي يقوم بهذا التعريف يستهدف تحديداً يتفق مع ذوقه وفهمه واغراضه . وهي صعبة شاقة، من جهة اخرى، لانه يجب في التعريف مراعاة مدلول الالفاظ ومفهومها كما اتفق عليه عرف الجماعة . فتحدي العرف الاجتماعي يعرّض صاحبه للشطط ويذهب به مذهب الزلل . اذ المراد باللغة الاتصال والافهام . وكل تعريف كيفي غير اجتماعي يحول دون الاتصال المطلوب ويمنع التفاهم المنشود . فاذا شئت ان تتصل بالاذهان عليك اذاً ان تحدد الالفاظ وتعين مدلولها . والا باءت محاولتك بالفشل الذريع

فاذا شئنا، والحالة هذه، ان نحدد كلمة «دعاوة او بروبغندا»، هذا الشيء الذي كثر استعماله جداً في الحقبة الاخيرة، علينا ان نضع نصب اعيننا امرين: اولهما ان نراعي كنه الدعاوة، من الوجهة الاجتماعية، والثاني ان نشير الى الطريقة السيكولوجية التي تنطوي عليها هذه العملية

فالبعض ممن تعرض لتعريف الدعاوة وتحديدها، شدد الوجهة الاجتماعية في هذه العملية بينما وقف غيرهم عند ما تتضمنه هذه الكلمة من الناحية النفسانية

او النفسانية الاجتماعية . فالناحية الاجتماعية تنظر الى الدعاوة كاداة مثلى للمراقبة الاجتماعية او ترى فيها عاملاً خطيراً من عوامل التأثير على الرأي العام والتحكم به . وقد يمزج البعض في تعريف الدعاوة العنصرين معاً، اي ان الدعاوة عنصر مراقبة كما انها طريقة للتوجيه. فاذا مزجنا كل هذه التحديدات وحللنا ما فيها من عناصر وسبكناها معاً تفتحت الدعاوة عن المقومات التالية :

١ً : الدعاوة من الوجهة الاجتماعية : فالدعاوة من هذه الناحية طريقة للتحكم الاجتماعي لان الداعية يرمي، فيما يرمي اليه من خلال هذه العملية، الى مراقبة الافراد وتحويلهم فكرياً وتكييفهم . فالدعاوة تستهدف من هذه الناحية الجماعات من وراء الافراد وترمي الى غاية خاصة . يقوم ما فيها من نشاط على عنصر الاستمرار والصبر والاناة وتتضمن فن التعمية والتمويه والتلوين والتزويق والابداع والصهر مع العلم ان الداعية يستعين باللف والدوران والغلو والمراوغة والتضليل والترجيح واللبس والايهام والتفسير والتعمية واللامبالاة بالحقيقة

٢ً : الدعاوة من الوجهة النفسانية : اما من الوجهة السيكولوجية او النفسانية فالدعاوة تتفتح عن المكنونات التالية وتهدف الى :

ا – تغيير الحالات والاعتقادات والتصديقات والتصرف والاراء والافكار والنظر الى الامور والاخذ بها وتعديل الاعطيات السائرة والعواطف والحالات الفكرية

ب – استعمال الايحاء والاقناع

فالدعاوة، والحالة هذه، هي محاولة منظمة يقوم بها فرد او افراد للتحكم، عن طريق الايحاء، بالحالات النفسانية الكامنة بين الجماهير، وبالتالي التحكم بسلوكها وتصرفاتها

فهذا التعريف الفلسفي الموجز يكشف عما تنطوي عليه الدعاوة، من الوجهة الاجتماعية، من قصد الداعية وجوهر جهوده المنظمة والمنتظمة . كذلك هو يبين من الوجهة السيكولوجية، ١ – التأثير على الافراد بالتأثير على حالتهم السيكولوجية . ٢ – التحكم بسلوك هؤلاء الافراد، على قدر ما يساعد هذا التصرف على اتيان اعمال يرغب الداعية في ان يرى الافراد يقومون بها

ثانياً : الدعاوة غير المقصودة : يصرح بعض علماء النفس ان الدعاوة تقوم

كلما واينما شجر نزاع او خصام بين جماعة من الناس . فكل من المتنازعين او المتخاصمين يرمي بوصفه داعية، الى تأليب الانصار حوله واستمالة المحايدين الى حظيرته او معسكره . فكل دعاوة تتجه من نزاع محدود، تقوم على قلب التوازن في المدى العقلي للافراد توصلاً الى افساد التوازن في الهيئة او البيئة الاجتماعية . فدعاوة كهذه تنم طبعاً عن عدم الاستقرار الاجتماعي . فالداعية هنا، لا يهمه في ان تكون الدعاوة جيدة او رديئة، صحيحة او مغلوطة . فالمهم عنده ان يعرف بماذا تقوم الدعاوة . ولذا وجب عليه ان يتجرد من القوى الاجتماعية المحيطة به وان يبتعد بعض البعد عن الحالات التي يعالجها . وكلا النوعين من الدعاوة يشابه الآخر، اذ المقصود اولاً واخيراً التأثير على الجماهير . ولا يختلف احدهما عن الآخر الا بالنظر الى مقاصد الداعية نفسه

الدعاوة والتربية : يسوقنا الكلام عن الدعاوة الى الكلام عن التربية، لما يقوم بين الدعاوة والتربية من علاقات وملابسات وطيدة . فان كان المقصود التحكم بالحالات السيكولوجية في الافراد، عن طريق الايحاء، فالحقل حقل دعاوة وداعية، والنشاط نشاطها . اما اذا كان المراد التحكم بالافراد والتأثير عليهم بالايحاء او بدونه، فالحقل حقل تربية وتهذيب، بقطع النظر عن نية المربي او قصد المهذب

فاستاذ العلوم الاجتماعية الذي يقود تلاميذه عن طريق العلم الى دراسة الظواهر الاجتماعية ومدارستها هو مهذب ومربٍ . والاخذ بهذا العلم يتم بمنعزل عن الايحاء وذلك لاثارة حالات سيكولوجية سابقة او مهيئة . اما المعلم الذي يحاول اقناع تلاميذه ان نظريات عصره الاجتماعية صالحة لكل عصر ومصر فهو داعية وليس بمهذب . فكلا المدافع عن الرأسمالية او المدافع عن الشيوعية هو داعية لمذهبه لاعتقاده ان الواحد من هذه المذاهب الاجتماعية يصح علاجاً ناجحاً للمشاكل الاجتماعية . فجوهر التربية يقوم باختصار في الموضوعية على نور الحقائق العلمية السائدة الآن، فيما الدعاوة المقصودة او غير المقصودة هي محاولة للتحكم بالحالات السيكولوجية في الجماهير

ومن هذا النقاش الفلسفي يمكن ان نخرج بالتحديد النهائي للدعاوة .

فالدعاوة المقصودة هي محاولة علمية يقوم بهـا فرد او افراد مغرضون يراد بها التحكم بالحالات النفسية في فرد ما او افراد ما عن طريق الايحاء، وبالتالي، التحكم بتصرفاتهم وسلوكهم واعمالهم

اما الدعاوة غير المقصودة فهي مراقبة الحالات النفسية، وبالتالي، مراقبة اعمال الجماعات والافراد عن طريق الايحـاء . ففي الحالة الاولى، ان الداعية يعرف الغرض الذي يستهدفه، كما يتبين الوسائـل والذرائع الموصلة اليه . ولذا «فالدعاوة المقصودة» هي محاولة علمية . اما الثانية، اي «الدعاوة غير المقصودة»، فان كان الداعية لا يضع لها خطة علمية ينتظم معها عمله للوصول الى اهدافه، فبامكانه مع ذلك ان يراقب وان يتحكم بالوسائل التي تمكنه من الاتصال بالجماعة

وسائل الدعاوة وذرائعها المختلفة

والآن بعد ان درسنا مقوّمات الدعاوة واسسها السيكولوجية والاجتماعية، وانواعها واغراضها التي تستهدف لها، والمدى الذي يتسع لها، علينا ان نستعرض باسهاب الوسائل العديدة والذرائع المختلفة التي يضعها العلم الحديث والفن العصري في خدمة الداعية والدعاوة . وهذه الوسائل والذرائع تختلف من حيث طبيعتها وماهيتها كما سترى . وهي كثيرة اهمها الصحافة، والراديو او الاذاعة، والسينما، والتمثيل، والفن، والمنشورات على اختلاف الوانها، والمجلات، والكتب، والتظاهرات، والاشاعات، والثقافة ومجاريها العامة الخ ... وسنستعرض كلًا منها على حدة

أ - الجرائد او الصحافة : كل يعلم «اليوم» ما للصحافة من شأن خطير على الرأي العام . وهو شأن لا تبلغه اية وسيلة اخرى من وسائل الدعاوة . اللهم الا الراديو او الاذاعة . عرف هـذه القوة الكامنة في الصحافة كل الجماعات والمؤسسات والمنظمات والاحزاب السياسية . وراح كل منها ينظم دعاوته وبثها في الجرائد والصحافة . كيف لا ، والجرائد هي خير طرق الايصال والاتصال بالرأي العام والتأثير عليه . فالجريدة، بوصفها ذريعة ثقافية او عقلية من ذرائع الدعاوة، ليست سوى صدى يرجع او دوي يردد افكار وآراء محيط اجتماعي او بعض هذا المحيط . فكل بيئة او مجتمع او اي جزء منهما تقوم فيه جريدة

ما، فهذه البيئة او المجتمع ليسا في حال من الاستقرار قط، لا بل يخضعان دوماً للتحول والتطور . فكل جريدة او اية جريدة لا بد لها ان تهدف، شاءت ام أبت، الى التعبير عن وجهة خاصة . ولـذا يجب الا يغرب عن البال قط ان الجرائد ليست ردة المحيط الاجتماعي او انعكاسته فحسب، بـل هي محاولـة لتغيير هذا المحيط وتعديله

فالجرائد اذاً، والحالة هذه، عامل قوي من عوامل التأثير في المجاري الفكرية والاجواء العقلية والثقافية السائدة او المتغلبة في محيط ما . ولما كانت هـذه العجالة لا تتسع قط للاستطراد في بحث اهمية الجرائد والصحافة كذريعة من ذرائع الدعاوة، رأينا ان نشير الى هذا الاثر البين بالتنويه الى المبادئ العامة او البديهيات التالية التي ترتكز عليها فعالية الصحافة

١ً – كل جريدة تقوم، شاءت ام ابت، بدعاوة ما

٢ً – كل جريدة، مهما كان شأنها او لونها، تنطوي على قوة تأثير، يجب ان يحسب لها حساب

٣ً – كل جريدة تؤثر بمظهرها الخارجي وبمجرد تحضيرها الفني

٤ً – كل جريدة تؤثر بالطريقة الـتي تقرّب بها الاخبار او ترويها بها او تعلق عليها، فتلائم بين رواية الاخبار وابداء الاراء

٣ً – الراديو او الاذاعة : جدير بنا ان نلاحظ ان الدعاوة، في عصرنا هذا، عرفت كيف تستفيد من عدة اختراعات علمية، سبب العثور عليها ثورة في فن الاعلان والنشر، كما سَهُل الاتصالُ عن طريقها بالجماهير . من تلك الاختراعات الراديو والطائرة والصور المتحركة او السينما التي كان من شأنها جميعاً ان تزيد في سرعة اتصالاتنا

وقد اصبح الراديو في يومنا هذا اكثر ذرائع الدعاوة مدى واشدها اتصالاً بالجماهير وافعلها وقعاً في النفوس . فعن طريق الاذن يتأثر جماهير المستمعين بما يتوالى على مسمعهم من المسليات والملهيات السلبية، باصغائهم الى الموسيقى الشجية وروائع الادب التمثيلي وعيون الشعر والاخبار والاحاديث السياسية . فيثير ذلك

كله في مكامن النفوس الحالات السيكولوجية المساعدة التي تهيّئ المرء للنشاط والعمل . فالناس يصغون الى هذه المنعمات برضى وارتياح ، فتسنح امام الداعية الفرصة المؤاتية للتأثير على الاذهان والخواطر . وهكذا يبدو لنا ما للراديو من شأن خطير كمحرك سيكولوجي

وقد اخذت الدول تنظر الى الراديو كذريعة مثلى للتأثير بالرأي العام سواء في بلادها ام في غيرها من البلدان، والتحكم به ومراقبته . وعنوا عناية ظاهرة بتنظيم مناهج هذه الاذاعة على كيفية دقيقة مازجين، على قدر مُقنن، الموسيقى بالتخاطب على انواعه : كالاحاديث والاخبار والتمثيل والجدل والنقاش والخطب والاعلان وعيون المنتقيات الادبيات ، ومناسك العبادة، وكلها مادة صالحة امام الداعية، يوجهها برسم الاستهلاك، سواء في بلاده ام في غيرها من البلدان، لمصلحة المستمعين عامة او لمصلحة بعضهم او لبعض الفئات او المناطق او بعض الطبقات . والكلام المذاع هو ايسر طرق الدعاوة واقربها تناولاً ، كما انه اكثرها قابلية للتأويل والتفسير والتعليق والتلخيص ، ولذا اوجبت السلطة التدقيق في استعماله ومراقبته بشدة . ولذا رأينا الدول الاجتماعية تعنى بتنظيم الاذاعة والدعاوة عن طريق الراديو عناية بالغة ، مراعية فيها مطلب سياسة الدولة العامة ومقتضياتها الملحة . وهكذا يصبح الكلام المذاع اداة مثلى لترويج اراء الحكومة وبثها في الجماهير

٣ – السينما او الصور المتحركة : اصبحت الاشرطة السينمائية في يومنا هذا من اوقع ادوات الدعاوة العصرية وافعلها في نفوس الناس . وتختلف اساليب الدعاوة هنا عنها في الذرائع الاخرى . فالداعية ، كثيراً ما يغلف مقاصده ويواريها ولا يوجهها مباشرة بل بالمواربة او بالواسطة

فالصور المتحركة هي اقوى وسائل الدعاوة اثراً على الفكر واشدها وقعاً على العقول من الكلام مطبوعاً كان ام محكيًّا . فالمرء مهما كان رجعيّ التفكير عصيّ التطور ، ينطبع بمشاهدة الصور والمناظر المعروضة امامه ، اكثر مما ينطبع بقراءة مقال في جريدة او باستماع رسالة او خطاب يلقى عليه . ولذا كان بين النظارة في السينما عدد اكبر من الاولاد والصغار القابلين للايحاء والتأثر به .

وهكذا تبدو لنا السينما اشدّ ادوات الدعاوة اثراً وافتكها سلاحاً بيد الداعية . فكان لزاماً، والحالة هذه، ان تخضع الحكومات المسؤولة الاشرطة السينمائية، للمراقبة الشديدة، فتمنع عن النظارة كل ما من شأنه ان يمس الآداب ويخل بالاخلاق او يفسد الدين والعقائد او يضاد سياسة الحكومة او من شأنه ان يفسد انطباعات الاولاد الصغار

٤ – التمثيل او المسرح : ان ما جاء عن السينما والصور المتحركة ينطبق، بمعظمه، على التمثيل، لما يقوم بين هاتين الاداتين اللتين يستعملها الداعية، من اواصر النسبة وروابط العلاقة والتأثير . كثيراً ما يخرج النظارة من مشاهدة رواية تمثيلية اكثر انفعالاً واشد تأثيراً منهم الى مشاهدة الرواية نفسها في شريط سينمائي، لما بين العرضين من اختلاف ظاهر في عوامل الحياة والتشويق، اذ شتان ما بين الاصلي والمصطنع او بين الطبيعي والمزيّف وبين الحقيقة والمجاز . ومع ذلك فدور السينما هي اكثر ارتياداً من دور التمثيل لاسباب لا محل لذكرها هنا

٥ – الفن والدعاوة : ومن الذرائع التي تلجأ اليها الدعاوة العصرية، الفن الذي يستجمع الكثير من المميزات الخاصة بهذه الذريعة . ومما لا مراء فيه ان الدعاوة ليست في الحقيقة الا وجهاً من وجوه الفن، مُحيِّزاً، عملياً، في كل فن من الفنون الكبرى او الصغرى : كالتصوير مثلاً او الهندسة البنائية او الموسيقى او النثر او الشعر . يعمل الفنان للفن المجرد، ومع ذلك فعمله لا يخلو، في صميمه، من دعاوة ولو غير مقصودة . اذا انعمنا النظر في روائع الفن التي انجبها عباقرة المصورين والرسامين ونوابغ المهندسين، في القرون الوسطى او في عصر النهضة العلمية ودور الانبعاث في اوروبة نرى الدعاوة اساساً في الاصل لكل منها، تتغلغل في ما خفي من اسرارها او ما غمض من مقاصدها او ما دقّ واسترقّ من غاياتها

اما في العصر الحديث، فقد رأت مقتضيات التجارة والصناعة ان تستعين، على قدر عظيم، بمواهب الفنانين وباستخدام اساليبهم الفنية لترويج المصنوعات والعمل على نفاقها . فكان الفن، في يومنا هذا، دعامة من دعائم الدعاوة موجهاً للشعوب، مهيئاً لهم لاقتبال رسالة الداعية

٦ً - بعض المطبوعات والمنشورات والاعلانات : ومن الوسائل الاخرى التي يعتمد عليها الداعية لبث دعوته والوصول الى الاغراض التي ينشدها ، ركونه الى بعض النشرات والمطبوعات التي يعمد الى توزيعها في بعض منعطفات الشوارع والجادات الكبرى او في الساحات العمومية . فهذه المطبوعات وتوزيعها على هذه الصورة ، تدخل ضمن الدعاوة المقصودة . ولما كانت هذه المنشورات مُنشأة ، على الغالب ، بصورة مقتضبة ، كان الغرض الذي تستهدفه يجمع بين الايجاز والاعجاز . وقد عمد الناس كثيراً ، فيما مضى ، الى هذه الوسائل . اما اليوم فقد ضعف الاخذ بهذه الذريعة امام الوسائل الفعالة الاخرى التي استعرضناها في تضاعيف هذا البحث

٧ً - المجلات : والمجلات هي ايضاً احدى الوسائل التي يركن اليها الداعية لبث دعاوته بين المشتركين بها او بين قرائها . ان ما تدور عليه من الابحاث والدروس وما تحويه من المقالات ، كل ذلك يدخل صراحة ضمن الدعاوة المقصودة ، فتجمع المقالة بين التربية والدعاوة في آن واحد ، اذ تقصد من ناحية الى التهذيب ، ومن الاخرى الى العمل ، فتدعو الى تحقيق الصور التي اثارتها المقالات المبثوثة في قرارة النفس او في مكمن العقل . كذلك ان ما تخصه المجلات من نقد بياني ونظرات تحليلية في المؤلفات والمطبوعات الحديثة يكوّن ، في مجموعه ، عنصراً قوياً من عناصر الدعاوة المستترة او المتخفية . وهذه المجلات ، اسوة بالجرائد والصحافة ، لها نفوذها او تأثيرها الخاص ، فهي تهيئ القارئ والمطالع او المشترك لاقتبال الانطباع المقصود من خلال الدعاوة . ويزداد هذا النفوذ قوة واثراً بازدياد العناية بالمظاهر الخارجية للمجلة والاتقان والترتيب والهندام الخارجي لذلك نرى ان المجلات ، ولاسيما في اميركة ، هي الوسيلة المثلى للاعلان والنشر . فينشرون الاعلان ، بصورة مغرية تستلفت الانظار وتستجلب الانتباه وتجعل المطالع يهتم به ويعنى بامره عنايته بالمقال الذي استهواه فحواه

٨ً - الكتب : لا لزوم للتدليل على اهمية الكتاب واثره الخطير كذريعة من ذرائع الدعاوة العصرية . كما انه لا وجوب للتصريح بان هذه الوسيلة هي خير الاساليب لايصال التراث الفكري جيلاً بعد جيل ، كما ان الكتب تحول ، بما لها من نفوذ واثر ، دون رجوعنا القهقرى ، الى عصور الظلمة والجهل والبربرية .

ولذا كانت الكتب هي ايضاً خير الوسائل التي تعتمدها الدعاوة غير المقصودة للتأثير على الاذهان والقلوب . فبالكتاب تحصل البشرية على شيء من الاستقرار الثقافي والاستمرار العقلي، وذلك بما يحدثه من اثر بالغ في العقول، ولاسيما في عقول الاطفال الغضة بعد قراءتهم له . ان كثيراً مما تدعوه الاكثرية الساحقة « تربية » ليس بالحقيقة الا ضرباً من ضروب الدعاوة في نظر الاقلية الواعية او الخبير بعلم النفس الاجتماعي او علماء الاجتماع الذين يحسنون رؤية الظواهر الاجتماعية عن بعد وينفذون الى حقيقة جوهرها

وعلى الاجمال، فالكتب، أسوة بالجرائد وبالمجلات، تتمتع بتأثير خاص لا ينازعها فيه منازع، يزيد في فعاليتها قوة وقدراً العناية البارزة في مظهرها الخارجي وغلاء قيمة اثمانها . واعتبارها اهم مظاهر النتاج العقلي . ولهذه الاسباب مجتمعة خضع القارئ حتماً لمؤثراتها وكان ذهنه لوحاً صافياً تنطبع عليه تلك المؤثرات . فالاغراض التي يتوخاها الداعية في كتاب يضعه والاهداف التي ينشدها من نشره قد يكشف هو نفسه عنها او يترك كشفها للمصادر والمراجع التي يركن اليها لتدعيم آرائه . وقد يواريها الى آخر الكتاب فيكشف عنها فجأة، أو انه يبقيها خفية مستترة عندما لا ينوي سوى تقوية الحالات السيكولوجية في القارئ او اضعافها . ان دعاوة كهذه لشديدة الاثر ولاسيما على عقول الاطفال والصغار الذين اعتادوا ان ينظروا الى الكتب نظرهم الى رفاق واقران تنضح بالحقيقة المجردة، ولا تنطق الا بالصدق

٩ – الاجتماعات العامة وما يرافقها من الخطب : ان هذا النوع من انواع الدعاوة العصرية واساليبها المختلفة قد ضعف جداً باختراع الراديو والاذاعة، ومع ذلك نرى بعض الدعاة يلجأون اليه في بعض الحالات، اذ ان المثير او المحرك الكامن في صوت الخطيب اشد فعالية من المثير المحرك في الراديو . كيف لا والناس، في هذه الاجتماعات، يؤخذون ليس فقط بصوت الخطيب بل ايضاً بالايحاء وبما يقوم به من اشارات وحركات وايماء، وفي ذلك كله ما فيه من قوة الايحاء، فيما ان المذياع لا يسمعك الا الصوت ونبراته . فينتج من ذلك كله سلسلة من الحالات السيكولوجية يأخذ بعضها برقاب البعض، الغرض منها اثارة ادارة حالات نفسانية سلبية وتهيؤ للانطباعات

١٠ً - الاشاعات : ومن الوسائل التي يعتمدها الداعية ايضاً الاشاعات التي يطلقها في البيئة او المحيط الاجتماعي، توصلاً للتأثير بها على الاخلاق او على السلوك الانساني . ويدخل ضمن هذه الاشاعات همسات وقصص وحكايات واخبار مختلفة، المقصود منها التأثير على الاعصاب . اما وجه العمل في هذه الشائعات فهو انها تؤثر من الوجهة السيكولوجية لان الذي يطلقها يتمتع ببعض النفوذ الاجتماعي، فيثير في النفوس، بمجرد ثقة الغير به، حالات نفسانية قابلة . ومدى هذه الحالات الطارئة يتوقف من حيث انكماشه او انبساطه، على وجود حالات نفسانية سابقة تساعد الفرد على الخروج من الجمود الى الحركة الايجابية . ومختصر القول ان الشائعات تلاقي من اقبال الناس على تلقفها والتأثر بها اكثر مما تصادفه بعض الذرائع الاخرى الموسومة بطابع الدعاوة الصريحة او المباشرة

١١ً - التظاهرات والعراضات الشعبية: نقصد بالتظاهرات تلك الظاهرات الاجتماعية الاجماعية التي تقوم بها بعض الجماعات البشرية للاعراب عما يخالجها من عاطفة، بين تحبيذ او تقبيح، للتدليل على اتجاه الرأي العام ممثلاً للسواد الاعظم من الجماهير الشعبية . فالشعب، وقد لفتت نظره هذه الحركة الاجماعية وما تعرب عنه من احاسيس وهزات نفسية ومجارٍ فكرية او عاطفية، يدخل التيار الجارف مأخوذاً باهتياج حالات نفسية مساعدة، تبعث فيه الحماسة والنشاط والعمل، على التجنيد مثلاً، او على الاكتتاب او على الانخراط في عصبة او حزب، وهي اعمال لم يكن ليقوم بها الفرد لو لم تعتره هزّة الانفعال

* * *

هذه هي اهم الذرائع والادوات المختلفة التي تستعملها الدعاوة العصرية للوصول الى الاهداف التي تترسمها للتأثير على الافراد والجماعات، ولحملها على التصرف وفاقاً لمساق عام سبق وضعه بكل عناية . وقد يستعملها الداعية كلها كما يستعمل بعضها لتحقيق اغراضه

بعض وجوه الدعاوة في البلدان العربية

قبل ان نختم هذا البحث رأينا ان نشير بايجاز الى بعض ما يجب ان تتناوله الدعاوة في البلدان العربية لتأتي اداة صالحة لتقوية روح الجامعة العربية وبث مبادئ هذا الميثاق بين طبقات الامة العربية في مختلف الحكومات التي تتألف من هذا الميثاق . ولعل من ابرز هذه الحاجات هو التعاون الثقافي بين هذه الحكومات والعمل معاً على وضع مناهج ثقافية تقوم على اسس موحدة، وان اختلفت قدراً وحدداً بين بلد وآخر، هذه البلدان التي تجمعها اصرة اللغة ووحدة الثقافة ووعي قومي واحد وامجاد قومية مشتركة وتراث تاريخي واحد ورفعة جغرافية واحدة في طبيعة مناخها، الى غير ذلك من المقومات . وقد أبنا ذلك في المقترحات التالية :

١ — وضع جوائز ادبية تشجيعاً للنهضة العلمية والفنية ولحركة التأليف والترجمة والنشر

٢ — وضع مصطلحات علمية مشتركة ليأتي التعبير عن الحقائق العلمية واحداً في مفرداته

٣ — اقامة اعياد قومية مشتركة تهدف الى تمجيد نوابغ الامة العربية تشترك في احيائها الشعوب العربية على اختلافها

٤ — تبادل المعلمين والاساتذة بين مختلف هذه البلدان

٥ — تنظيم رحلات علمية وبعثات ثقافية بين هذه البلدان على اختلافها

٦ — انشاء مكتبات عامة في معظم هذه البلدان والاكثار منها لاسيما في المدارس والمعاهد الكبرى وفي القواعد والحواضر الرئيسية

٧ — وضع اسس موحدة مشتركة تكون دستوراً لفن تنظيم هذه المكتبات

٨ — وضع فهرس عام مشترك للمخطوطات العربية الموجودة في الخزائن العامة او الخاصة القائمة ضمن هذه البلدان

٩ — انشاء مدرسة لتخريج امناء المكتبات العربية يكون فرعاً من فروع

الجامعة المصرية، لان مصر اكفأ البلدان العربية علمياً ومالياً للنهوض بمثل هذا المشروع، بوضع منهاجها بصورة علمية ويوحى به من موضوعات الثقافة العربية وحاجاتها الثقافية

١٠ — تنظيم مؤتمرات دورية لامناء المكتبات في الشرق العربي اسوة بمؤتمرات الاطباء والمحامين والمهندسين

١١ — تنظيم سلاسل من المحاضرات الدورية، كل سنة لدرس ناحية مشتركة او خاصة من نواحي تاريخ هذه البلدان، وبحث مشاكلها العلمية والثقافية وقضاياها الاقتصادية والمالية والاجتماعية والتطورية

١٢ — انشاء مجلة دورية تكون صلة فكرية بين هذه الدول تصدرها الامانة العامة للجامعة العربية

١٣ — وضع فهارس عامة لتقريب متناول اصول الثقافة العربية، القديمة منها والحديثة

١٤ — السعي المشترك لوضع دائرة معارف العلوم العربية وتنظيم هذا العمل الجبار ووضع اسسه للنهوض به واخراجه الى حيز الوجود

١٥ — وضع معجم جغرافي تاريخي للبلدان العربية قديمها وحديثها

١٦ — مراقبة اخراج الافلام العربية والمسرح العربي تراعى في كلا الاشرطة والروايات حقائق القومية العربية ودرجة الوعي القومي وعاداتها واخلاقها

١٧ — وضع فهارس تتعلق بنظم التربية والتعليم في البلدان العربية وتفاعلها المشترك بعضها ببعض، وبينها وبين البلدان الغربية

١٨ — انشاء لجنة ثقافية مشتركة للنظر في نقل المؤلفات الغربية الى اللغة العربية مما تشتد حاجتنا الى بعضه، نهوضاً بثقافتنا العربية وحملها على اللحاق بالثقافة الغربية

١٩ — انشاء لجنة تعنى بمراقبة مناهج التعليم في كل من البلدان العربية والسعي لوضع كتب مدرسية تراعى فيها اتجاهات الوعي القومي العربي والبعث الروحي في هذه الامم

٢٠ — عرض رسوم فنية لروائع الآثار التاريخية العربية، وذلك في الماجريات

التمهيدية السابقة لعرض الاشرطة السينمائية

٢١ – صنع بطاقات بريدية تحمل آثار او رسوم بعض الشخصيات البارزة في التاريخ

٢٢ – انشاء شركة انباء عربية برأس مال قوي يكون لها فروع في كل من عواصم البلدان العربية وحواضرها الرئيسية

هذا بعض ما عنّ لنا ذكره في هـذه العجالة من الامور التي يجب ان تكون موضوع عناية الدعاوة في الشرق العربي، تاركين امر التوسع بها وبغيرها من هذه الموضوعات لمناسبة اخرى، وفقنا الله الى ما فيه خـير البلاد واسعاد العباد واخـذ بيد القائمين على لمّ الشعث وجمع الكلمة وبعث التراث الادبي والخلقي والعلمي لهذه الامة المباركة

بيروت في ١ نيسان ١٩٤٦

301.15:D12dA:c.1
داغر ،يوسف اسعد
الدعاوة والنشر او البروبغندا
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01009766

American University of Beirut

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866

301.15
D12dA

General Library

301.15
D12dA
c.1